اسم المقرر

العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة

د. محمد القطاونة

جامعة الملك فيصل
عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد

المحاضرة السابعة

عناصر المحاضرة

- ضوابط التكفير
- أمور مكفرة

ثامناً: ضوابط التكفير

إن من أوائل ما ابتليت به الأمة فتنة التكفير وبدعته ،وتكاد أن تكون البدعة الأولى في الأمة الإسلامية بعد موت نبيها صلوات الله وسلامه عليه. وقد ذهب ضحيتها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه حين قتله من رأى كفره، وسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما قتله عبد الرحمن بن ملجم ، وهو من الخوارج الذين خرجوا على الإمام، فكفروه واستحلوا دمه فقتلوه.

ومن أضل الفرق وأنكاها، فرقة جعلت التكفير أساسها ومبدأها ومنتهاها،فكفرت كل من عداها،حيث كفر معتنقوها الخلفاء الراشدين بعد رسول الله،وكفروا زوجات المصطفى أمهات المؤمنين،وكفروا أهل بيعة الرضوان تحت الشجرة،وكفروا البدريين الذين زكاهم الله ورسوله،وكفروا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار،وكفروا كل من آمن برسول الله إلا نفرا بعدد أصابع اليد الواحدة،ثم كفروا التابعين وتابعيهم بإحسان،بل كفروا كل المسلمين من بعد رسول الله إلى يومنا هذا،وإلى أن تقوم الساعة ما لم يعتقدوا بأمر وضعه معتنقو هذه الفرقة من عند أنفسهم،ليس لديهم عليه برهان من الله في قرآنه،ولا من محمد في صحيح سنته وبيانه،فهي فرقة تكفيرية،يدين أربابها بتكفير كل من لم يكن من أصحابها ومعتنقيها.

والتكفير وعدمه بابٌ عظمت فيه المحنة وكثرت فيه الفتنة، وهو بابٌ خطير، فمن كفر مسلماً دون حقٍ كفر، لقول رسولنا صلوات الله وسلامه عليه):إذا أكفر الرجلُ أخاه فقد باء بها أحدهما(صحيح مسلم لذا وجب علينا بيان ضوابط التكفير وموانعه كي لا يقع المسلمُ في الوعيد الشديد بإطلاق التكفير على من ليس بكافر بهذا الوصف الشنيع.

أولاً: الضوابط:جمع ضابط والضابط في اللغة: لزوم الشيء، وضبط الشيء حفظه

والضابط عند العلماء:حكم كلي ينطبق على جزئياته والجمع:ضوابط .

التكفير لغة:الستر والتغطية.

واصطلاحاً:الحكم على المسلم بالردة،إذِ الكفر نقيض الإيمان، ومنه قوله تعالى :- (وقالوا إنا بكل كافرون) أي جاحدون.

ومنهجنا –أهل السنة و الجماعة –منهج الوسط في التكفير،فلسنا كالخوارج الذين يبالغون،فيكفرون مرتكب الكبيرة لتغليبهم نصوص الوعيد؟ !وإقصائهم نصوص الوعد والرحمة، ولسنا كالمرجئة الذين يعتقدون بأن الإيمان مجرد المعرفة بالقلب،فمن عرف ربه بقلبه فهو مؤمن ولا يكفر إلا إذا جهل ربه بقلبه،فلزمهم أن إبليس مؤمن لأنه يعرف ربه (قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون) وكذلك فرعون وقومه مؤمنون،قال تعالى عنهم:- (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)

بل منهجنا منهج الوسط،بلا إفراط ولا تفريط ،وهو منهج مدلل بالأدلة،مدعوم بالبراهين ،لأن عقيدتنا مستمدة من صريح الكتاب ، وصحيح السنة،وعقولنا ليست مشرعةً ولا حاكمةً على ما في قلوب العباد وأفعالهم، وإنما نحكم بما حكم الله تعالى وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً :أهم ضوابط التكفير:

❖ **العلم** :فلا يمكن أن نحكم على من فعل أمراً كفرياً بأنه كافر،ما لم يعلم أن هذا العمل كفرٌ،إذٍ الجاهل معذورٌ فيما يمكن جهله ويغلب عدم معرفته مراعاة لحاله. والدليل :قول الله تعالى :- (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله محتجاً بهذه الآية ما نصه : من الناس من يكون جاهلاً ببعض الأحكام جهلاً يعذر به ، فلا يحكم بكفر أحدٍ حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة.

وقال في موطن آخر ليس كل من تكلم بكلمة الكفر يكفر ،حتى تقوم عليه الحجة المثبتة لكفره ،فإذا قامت عليه الحجة كفر حينئذٍ.

ومن الواضح المعلوم..بأنه تختلف أحوال الناس في الجهل ،كحديث عهد بإسلام والبعيد عن بلاد العلم وأهله ،فلا يتساوى مع من وجد في بلاد علم وعلماء.

❖**ب.العمد**:حيث اتفق أهل السنة والجماعة على أن الخطأ من موانع التكفير والمحاسبة، يقول تعالى:- (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به،ولكم ما تعمدت قلوبكم) وقوله :- (ربنا لا تؤا خذنا إن نسينا أو أخطأنا) فقال الله: قد فعلت

وقال رسولنا صلوات الله وسلامه عليه :- إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ و النسيان.

فلابد أن يكون بفعله أو قوله عالماً عامداً قاصداً.. وإلا فلا يحكم بكفره كمن قال كلمة كفرٍ مخطئاً غير قاصدٍ ولا متعمداً كالذي قال في الحديث) :اللهم أنت عبدي وأنا ربك!أخطأ من شدة الفرح(فتتمة الحديث بيان إعذاره لخطأه، وهذا بخلاف من تفوه بكلمة كفر ظاهر فهو كافر حتى وإن ادعى عدم القصد !كمن سب الله،أو سب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال:لا أريد الكفر ولا أعني التنقص فكلامه مردود غير مقبول.

❖**الاختيار دون الإكراه** ،وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الإكراه على الكفر قولاً أو فعلاً بضوابطه الشرعية يعتبر من موانع التكفير،كمن هدده قادرٌ متمكنٌ بقتل أو قطع وشدة تعذيب،ولا حيلة له للدفع فيباح له إظهار ما يخالف الدين،ولا يأثم حتى لو نطق بالكفر أو فعله، يقول الله جل في علاه) :من كفر بالله من بعد إيمانه،إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان،ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (النحل

والأخذ بالعزيمة له منزلة عالية عند الله ،لقول رسولنا صلوات الله وسلامه عليه) سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ،ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله. فلا ينبغي التوسع والتساهل في ترك الحق والصدع به لمن اعتقده بحجة الإكراه ،بل خير الجهاد أن تصدع بالحق المدعوم بقول الله

❖د. عدم السهو و النسيان ،فلا يكون ناسياً ساهياً ،بل يكون ذاكراً حال فعله ، متذكراً حكم قوله، أما الناسي فمعذور لقول الله تعالى بعد دعاء المؤمنين :- (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) ولحديث رسولنا صلوات الله وسلامه عليه :- (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان.)

❖و_ المقدرة وعدم العجز:إذ الشريعة ميسرة , شاملة محكمة , حسب طاقات العباد وقدراتهم, فاتفق أهل السنة والجماعة على أن العجز عن أداء ما شرع الله يعتبر من موانع التكفير إذا اتقى الله ما استطاع وحرص فإنه معذور غير مؤاخذ ,كمن بلغتهم دعوة الإسلام وهم في دار كفر ولم يتمكنوا من هجرة إلى دار الإسلام, أو لم يستطيعوا الالتزام بجميع شرائعه لأنهم محاربون ممنوعون من إظهار شعائر دينهم , أو ليس عندهم من يعلمهم جميع شرائع الدين ,فهؤلاء معذورون, وإن ماتوا على حالهم فهم من أهل الجنة إن شاء الله تعالى .

يقول ربنا سبحانه : (*لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا*) { ويقول :- (*فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ*)

ثالثاً :أمورٌ مكفرةٌ :

1 _من سب الله تعالى،أو كذبه في قرآنه ،أو انتقصه في صفاته أو شك في قدرته،أو طعن في ألوهيته أو ربوبيته ،مفتريا على الله،وقد حذره بقوله : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه،أليس في جهنم مثوى للكافرين)العنكبوت. 68

2 _من استهزأ بالقرآن ، أو احتقره وأهانه، كمن رماه في الأرض أو في القاذورات ،أو انتقصه أو شك في كماله ،أو اعتقد عدم حفظه من الله ،أو اعتقد أنه مغيرٌ أو محرفٌ أو مبدل أو أن هناك قرآناً غيره أصحُ منه مكذباً قول الله : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فهو كافرٌ كفراً مخرجاً عن ملة الإسلام.

3 _من سب الدين الإسلامي ،أو احتقره أو انتقصه ، معتقداً عدم صلاحيته،مكذبا قول الله تعالى:(إن الدين عند الله الإسلام) أو رادًا لقول الله تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) أو انتقص شرائعه و أحكامه معتقداً نقصانه ،مكذباً لقول الله تعالى :(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) فهو كافر كفرا مخرجا عن ملة الإسلام

.

4 _من سب رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم أو انتقصه أو كذبه أو اعتقد بأنه لم يبلغ الرسالة أو طعن في عرضه فاتهمه بأنه تزوج كافرات ،أو رضي بأن يبقي في ذمته فاجرات ، أو أنه صاهر كفرةً فجرة ،أو أنه فشل في تربية أهل بيته الأطهار وصحابته الأخيار ،أو بأنه لم يؤد الأمانة على الوجه المطلوب وبأنه تسبب في ضياع الأمة من بعده ،فهو كافر كفراً مخرجاً عن ملة الإسلام.

5 _من سب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه وعزروه ونصروه ،وسابقوا للإيمان به ،وقد ثبت فضلهم بكتاب الله وسنة رسوله كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عباس والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ،وسيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ، وباقي العشرة المبشرين بالجنة ، وأهل بيعة الرضوان تحت الشجرة ،وكان سبه متوجهاً لدينهم ، متهماً إياهم بالكفر والردة والنفاق، مكذباً الله في قرآنه حيث قال: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ،وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) التوبة100

وقول ربنا : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة علم مافي قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً)الفتح18

ومكذباً لقول الله تعالى :(محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا..) إلى قوله تعالى (ليغيظ بهم الكفار،وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً)الفتح29

فهو كافر كفرا مخرجا عن ملة الإسلام.

6- من سب زوجات النبي أمهات المؤمنين عموما كخديجة وحفصة،أو الصديقة عائشة متهما إياها بالإفك الذي برأها الله منه،مكذبا الله في تبرئته لها في القرآن، أو سب إحدى بناته كفاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة،وكان سبه متوجها لدينهن،متهما إياهن بالكفر أو الردة أو النفاق،متهما رسول الله بالخبث حيث وصف زوجاته بالخبث وربنا يقول : (الخبيثات للخبيثين و الخبيثون للخبيثات) فهو كافر كفرا مخرجا عن ملة الإسلام.

7 –من سجد لنبي أو ولي أو صنم،أو ذبح باسم غير الله،أو لغيره جل في علاه،عالما معتقدا قاصدا فهو كافر كفرا مخرجا عن ملة الإسلام.

8 –من استحل محرما،ثبت تحريمه بصريح القرآن أو صحيح السنة كالزنا،أو الخمر أو الربا،عالما قاصدا فهو كافر كفرا مخرجا عن ملة الإسلام.وغير ذلك من الأمور المكفرة كثيرٌ،وإنما أردت الذكر لا الحصر

محذرا نفسي ومن قرأها من الشرك الذي خاف منه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام،كما أخبر الله بقوله: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) فكيف بنا لا نخاف على أنفسنا من الوقوع فيه؟!

بل الواجب علينا أن نعرض معتقداتنا وجميع عباداتنا على قرآن الله،وسنة رسوله،فما وافقهما قبلناه،وتمسكنا به واعتقدناه،وما خالفهما رددناه،حتى لا نكون ممن عابهم القرآن وذمهم بقوله: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا 103الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا104أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم،فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) الكهف105

تمت بحمد الله